إرشاد طلاب الحقائق

إلى معرفة سنن خير الخلائق

صلى الله عليه وسلم

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ لِلْمُحَقِّقِ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
بيروت
١٤١١هـ - ١٩٩١م

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

التَّوزِيعُ الدَّاخِلِي

دَارُ اليَمَامَة
دمشق

مَكْتَبَةُ الكَشَّافِ
حلب

وَيُطلَبُ مِنْ جَمِيعِ المَكْتَبَاتِ

مطبعة الصباح
دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠
عدد النسخ (١٠٠٠)

إرشاد طلاب الحقائق

إلى معرفة سنن خير الخلائق
صلى الله عليه وسلم

للإمام محيي السنة

أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

رحمه الله ورضي عنه

حققه وعلق عليه

الدكتور نور الدين عتر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث والمصطلح في جامعتي دمشق وحلب

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير المحقق

الحمد لله رب العالمين، اختص هذه الأمة بعلم الحديث، وحفظ لها به سنة نبيها في كل زمنٍ قديمٍ وحديث، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي آتاه الله الكتاب والحكمة تهتدي بهما الأمم، وتسلك النهج الأقوم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم مدىٰ الزمن.

أما بعد:

فإن الله تعالىٰ خص هذه الأمة بما وفقها إليه من ابتكار أدق منهجٍ لنقد الروايات، في هذا العلم العظيم الذي تفردت به الأمة الإسلامية، وهو «علوم الحديث» أو «مصطلح الحديث»، الذي تم بواسطته تمييز الحديث الصحيح من السقيم، والمدخول من السليم.

وقد ألف العلماء الأعلام كتباً كثيرة، تسابقت في تدبيجها الأقلام، اشتهر منها بين الخاص والعام «علوم الحديث» لابن الصلاح الإمام، على مدىٰ العصور والأعوام.

لكن الإمام محيي السنة والدين أبا زكريا يحيىٰ بن شرف النووي لحظ حاجة دارسي هذا العلم إلىٰ اختصار الكتاب وإيضاحه، وتسهيله وتكميل فوائده، فبذل لذلك غاية وسعه، حتىٰ يكون الكتاب ملائماً لقصده، وجاء المسمى مطابقاً لاسمه، وهو إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وقد رأينا ـ بعد تحقيقنا كتاب ابن الصلاح، الذي قرّتْ به عيون أهل النُجْحِ والفلاح ـ أن نخرج مختصره هذا للإمام النووي، لغاية موافقته مقصدنا العلمي، في دراسات أصول الحديث النبوي، والذي منه تزويد دارسيه بمؤلَّف قديم يلائم طالب الحديث في العصر الحديث، وراعيت في تحقيقه والتعليق عليه الاختصار بما يلبي حاجة قارئه، من تكميلٍ لفائدته، أو شرحٍ لعبارته، كيلا تضيع فائدة اختصار الكتاب، بالإكثار من التعليق والإسهاب، وقـدّمْنا بين يدي الكتاب ترجمة موجزة للإمام مؤلفه، وتعريفاً بعملنا في التعليق عليه وتحقيقه.

والله تعالىٰ نسأل أن ينفع به كما نفع بأصله وأكثر، وأن يجعله موضع رضوانه ورضوان من الله أكبر.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبـه وسلم كلما ذكـره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كتبه

خادم القرآن وعلومه والحديث وعلومه

نور الدين عتر

كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

الإمام محيـي السنة
أبو زكريا النووي

إنه الإمام الجليل، مفتي الأمة، وقدوتها، شيخ الإسلام، الحافظ النبيه الزاهد، الذي أحيا سُنَّةَ السلف، على فترة من السلف، وقدم مثالاً كاملاً للتجديد، يقتدي به المسلمون، وعلى طريقه يسيرون:

اسمه ونسبه:

هو الإمام محيـي الدين أبو زكريا يحيـى بن شرف بن مُرِّي[1] بن حسن بن حسين بن حِزام الحزامي النووي. لقبه محيـي الدين، ومحيـي السنة أيضاً، وكنيته أبو زكريا. والنووي نسبة إلى بلدة «نَوى» التي وُلد فيها وأمضى شرخ شبابه.

وقد نسبه المؤرخون «النووي» بغير ألف، ويجوز في نسبتـه «النواوي» بألف بعد الواو الأولى، قال السخاوي[2]: «وبإثباتها وحذفها قرأتُه بخط الشيخ» انتهى.

---

(١) «بضم الميم وكسر الراء، كما وجد مضبـوطاً بخـطه». أورده الزركلي في «الأعلام» ج ٨ ص ١٥٠ نقلاً عن الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية. وضبطه الزبيدي «مِرّى» بالكسر والقصر. انظر تاج العروس شرح القاموس ج ١٠ ص ٣٤١.

(٢) في كتابـه المفرد «ترجمة النووي» ص ٣. وانظر الأعلام لخير الدين الزركلي، ففيه صورة خط النووي ينسب فيه نفسه بغير ألف.
قلت: وبإثبات الألف وجدته في عنوان نسخة «كوبرلي» وفي افتتاح نسخة «أيا صوفية».

و «نوى» بلدة صغيرة بين حوران ودمشق، على بعد ٩٠ كيلو متراً جنوب دمشق.

مولده ونشأته:

في المحرم بداية السنة الحادية والثلاثين بعد الستمائة من الهجرة النبوية ولد الإمام النووي، في هذه البُلَيْدَة الصغيرة «نوى»، البعيدة عن العواصم، وعن منابع العلم، ونشأ وأمضى القسم الأول من حياته، لكنه لم يعدم في بليدته هذه أساس الدين والعلوم؛ وهو القرآن الكريم، كما أنه وجد المعلم المرشد الذي يوجهه في التربية في شؤون دينه، وهو والده «الشيخ الزاهد الورع وليّ الله تعالى أبو يحيى الحِزامي»[١]، ثم في شيخه المربي الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي[٢]. كان ذلك شأن الحضارة الإسلامية، الاعتناء بهذين الأمرين، ونشرهما في كل حاضرة وبادية، وذلك ما يجب على المسلمين عمله اليوم.

وفي سِنٍّ مبكرة من الصغر وهي السابعة أصبح لديه إدراك فائق للأمور الدينية والأحاسيس الروحانية، دل على عظمة موهبته، وما أعطاه الله من صفاء فطرة، وشفافية حِسٍّ، وسمو روح.

«ذكر أبوه أن ابنه يحيى كان نائماً إلى جنبه ـ وقد بلغ من العمر سبع سنين ـ ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبتِ ما هذا الضوء الذي ملأ الدار؟! فاستيقظ الأهل جميعاً. قال: فلم نر كلنا شيئاً. قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر»[٣].

---

(١) كذا عرفه الحافظ السخاوي في كتابه ترجمة النووي ص ٣.

(٢) كذا نسبه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٣٩٦، وسمى أباه «يوسف»، ونسبه في ترجمة النووي ص ٤ «المراكشي»، وهو كذلك في بعض نسخ الطبقات.

(٣) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧١ وترجمة النووي ص ٤.

وهكذا نشأ الإمام النواوي بهذه الفطرة والروح متوجهاً بِكُلِّيَّتِه إلى العبادة والقرآن والربانية، والتفكر والذكر، على غير ما ينشأ الصبيان.

يقول مرشده الشيخ ياسين الزركشي: «رأيت الشيخ محيى الدين وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبُّه. وجعله أبوه في دُكّان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن. قال: فأتيتُ الذي يُقرئه القرآن فوصَّيتهُ به، وقلتُ له: هذا الفتى يُرجى أن يكون أعلم أهلِ زمانه وأزهدهَم، وينتفع الناس به. فقال لي: مُنَجِّمٌ أنت؟!. فقلتُ: لا، وإنما أنطقني الله بذلك. فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن خَتَم القرآن، وقد ناهز الاحتلام»[1].

طلبه للعلم:

هكذا وجد والد الإمام النووي في ابنه الشاب القابلية والاستعداد، «فلما كان ابن تسعَ عشرة سنة قدم به والده إلى دمشق فسكن بالمدرسة الرَّوَاحِيّة»[2]، وراح ينهل العلم من منابعه الصافية، في دمشق القرن السابع الهجري، العامرة بالمعاهد، الآهلة بكبار العلماء.

وكما كانت نشأته في نوى عجباً، كذلك كان طلبه للعلم في دمشق عجباً، فإنه ما إن قدم دمشق سنة تسع وأربعين وستمائة حتى أكبّ على العلم، فحفظ كتاب «التنبيه» في أربعة أشهر ونصف والتنبيه كتاب جليل من تأليف الشيرازي، كان أكثر كتب الشافعية تداولاً، ثم قرأ النووي ربع كتاب المهذّب حفظاً في باقي السنة، ثم حج مع أبيه، وأقام بالمدينة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ وترجمة النووي الموضع السابق. وقارن فيها بما نقله عن الذهبي. والمراد من ختم القرآن هنا حفظه غيباً.

(٢) طبقات الشافعية الوسطى، كما في التعليق على الكبرى ج ٨ ص ٣٩٧.

المنورة شهراً ونصفاً يحضر حلقات العلم فيها[1]، ثم عاد إلى دمشق وقد نهل من أنوار المشاعر والمناسك المقدسة، والزيارة المباركة، «فلاحت عليه أمارات النجابة والفهم»[2]. فعكف على تحصيل العلوم، وأكثر من التحصيل جداً، بما يدل على موهبته وحرصه، وعلى كرامة الله إياه، «حتى ضُرِب به المَثَلِ في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً، وهجره النومَ إلا عند غلبته، وضبط أوقاته بلزوم الدرس، أو الكتابة، أو المطالعة، أو التردد إلى الشيوخ»[3].

وقد حدّث النووي عن نفسه فيما روى عنه تلميذه العلامة أبو الحسن العطار: أن الإمام النووي ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً: درسين في الوسيط، ودرسا في المهذَّب، ودرسا في الجمع بين الصحيحين، ودرسا في صحيح مسلم، ودرسا في اللمع لابن جني، ودرسا في إصلاح المنطق، ودرسا في التصريف، ودرسا في أصول الفقه، ودرسا في أسماء الرجال، ودرسا في أصول الدين»[4] (أي العقائد).

ولم يكن الدرس عنده تلقياً مجرداً، بل تفهماً ومناقشة واستيعاباً. قال النووي يصف طلبه للعلم: «وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٠ والمرجع السابق، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٧٨. وهذه هي حجة فرض الإسلام، سنة إحدى وخمسين. ثم حج بعد ذلك حجة أخرى كما في طبقات الشافعية للآسنوي ج ٢ ص ٤٧٧، وكذا ذكر الثانية في ترجمة النووي ص ٦.

(٢) ترجمة النووي الموضع السابق نقلاً عن سير النبلاء للذهبي.

(٣) ترجمة النووي ص ٧.

(٤) كذا فصلها وعدها في تذكرة الحفاظ ص ١٤٧٠ وترجمة النووي ص ٦. وعدد المذكورات هنا ينقص درساً، فلعله التفسير.

مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة. وبارك الله تعالى في وقتي»[1].

وقال ابن كثير: «ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً، فكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ»[2].

وقد خطر للإمام النووي أن يدرس علم الطب، فماذا حدث لهذا الذي خلق لعلوم طب الأديان وقد حدثته نفسه أن ينزل عنه إلى طب الأبدان!؟.

يحدثنا النواوي عن ذلك، يقول: «وخطر لي أن أشتغل في الطب، واشتريت كتاب «القانون»، فأظلم قلبي، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال، فأفقت على نفسي، وبعت القانون، فأنار قلبي»[3].

تلك عبرة لطلبة زماننا الذين يقيسون الدراسة المطلوبة بمقياس عوائدها الدنيوية، حتى لقد حصل خلل عظيم في التوازن العلمي، وفي إمكانياتنا العلمية.

وهكذا توجه الإمام النووي بكليته إلى العلوم الشرعية، ووسائلها علوم اللغة العربية، وتوسع في تحصيلها، ونوّع دراسته بما يحقق له التكامل، فقهاً، وأصول فقه، ونحواً وصرفاً، ولغة، وعقيدة... حتى كمل تكوينه العلمي، ورسخ فيه، وبرع سريعاً. كما قال الإمام السبكي: «وبارك الله له في العُمر اليسير، ووهبه العلم الكثير»[4].

---

(١) التذكرة، الموضع السابق.

(٢) البداية: الموضع السابق.

(٣) تذكرة الحفاظ: الموضع السابق، وانظر تفاصيل لذلك في ترجمة النووي ص ٦ ـ ٧ وقارنها بما ذكرنا.

(٤) الطبقات الوسطى كما في التعليق على الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٩٧.

شيوخ الإمام النووي:

تلقى الإمام النووي العلم على نخبة من علماء عصره، كانت دمشق تزهو بهم، فاجتمع لديه ما تفرق عندهم، حتى كان إمام عصره في الحديث والفقه.

فمن شيوخه في الحديث الذين سمع منهم وأخذ عنهم:

١ ـ الإمام المحدث الكبير الضياء بن تمام الحنفي، ولازمه في سماع الحديث وما يتعلق به، وعليه تخرج وبه انتفع[١].

٢ ـ شيخ الشيوخ الإمام عبد العزيز بن محمد الأنصاريّ المتوفى سنة ٦٦٢[٢].

٣ ـ القاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني خطيب دمشق، المتوفى سنة ٦٦٢[٣].

٤ ـ الإمام المفيد المحدث الحافظ زين الدين خالد بن يوسف النابلسي، المتوفى سنة ٦٦٣[٤].

٥ ـ الحافظ أبو زكريا يحيى بن أبي الفتح الحرّاني الصيرفي (المتوفى سنة ٦٧٨).

٦ ـ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، وهو أجل شيوخه، (توفي سنة ٦٨٢).

٧ ـ الشيخ المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي، شرح عليه في أحاديث الصحيحين. (توفي سنة ٦٦٨).

---

(١) كما ذكر في ترجمة النووي ص ١٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ص ١٤٤٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ١٤٤٧.

٨ ـ الإمام تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر، كبير المحدثين ومسندهم المتوفى سنة ٦٧٢.

وغيرهم من المحدثين في طبقتهم.

ومن شيوخه في الفقه:

١ ـ أول شيوخه في الفقه الإمام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظم فضله الكمال إسحاق بن أحمد المغربي ثم المقدسي، وكان معظم انتفاعه عليه. (توفى سنة ٦٥٠).

٢ ـ ثم الإمام العارف الزاهد العابد الورع المتقن مفتي دمشق شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن نوح، المقدسي، ثم الدمشقي، (المتوفى سنة ٦٥٤).

٣ ـ ثم الإمام المتقن المفتي أبو حفص عز الدين عمر بن أسعد[١] الإربلي وكان النووي يتأدب كثيراً معه، ويخدمه في الأشياء اليسيرة التافهة.

٤ ـ ثم الإمام العالم المجمع على إمامته وتقديمه في علم المذاهب على أهل عصره في هذه النواحي: سلّار بن الحسن الإربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي، (المتوفى سنة ٦٧٠).

أخذ النووي عنهم الفقه قراءة وتصحيحاً، وسماعاً وشرحاً وتعليقاً[٢].

ومن شيوخه في أصول الفقه القاضي عمر بن علي التفليسي

(١) كذا في ترجمة النووي والتعليق على الطبقات «أسعد». ووقع في تذكرة الحفاظ «سعد».

(٢) ترجمة النووي ص ٧ ـ ٨.

(٦٧٢) وفي النحو وعلوم العربية أحمد المصري، وابن مالك صاحب الألفية، وقرأ النووي على ابن مالك كتاباً من مصنفات ابن مالك. وغيرهم من الشيوخ العلماء كثير[١].

ولازم الاشتغال ليل نهار على شيوخه العلماء الفضلاء، وتلقى عنهم العلم والعمل والورع، حتى برع في العلوم ورسخ فيها، وتمكن في العمل بالعلم والزهد حتى صارت مواظبته على المجاهدة مَثَلاً عالياً.

قال تلميذه ابن العطار علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم الدمشقي فيما روى عنه الذهبي: ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتاً، لا في ليل ولا في نهار إلاَّ في اشتغال، حتى في الطرق، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة، والنصيحة وقول الحق.

قلت: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة، وتصفية النفس من الشوائب، ومحقها من أغراضها، كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله، وصحيحه وعليله، رأساً في معرفة المذهب»[٢].

تلامذته:

وقد أقبل الطلبة على الإمام النووي ينهلون من بحور علمه،

---

(١) انظر ترجمة النووي للتوسع في شيوخ النووي ص ٧ - ٨ و ١٠ - ١١.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٢. وقوله: «قلت» القائل الذهبي والله أعلم. لكن الذهبي في كتابه «العبر في خَبَر مَن غَبَر» ج ٥ ص ٣١٢ يقول: «ولزم الاشتغال ليلاً ونهاراً نحو عشر سنين حتى فاق الأقران... ثم أخذ في التصنيف في حدود سنة الستين والستمائة». قال نور الدين - عفا الله عنه - فلعل تمام العشر لغاية تكميل الطلب. وقد اقتبس في شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥٥ كلام العبر، لكن وقع فيه «نحو عشرين سنة»، وهو خطأ قطعاً، كما يعرف من تأمل الحساب، ولعله من تصحيف قراءة المخطوطة أو من خطأ الطباعة.

ويتلقون عنه، حتى تخرج به جماعة من العلماء الفحول، كوّنوا علومهم عليه، نذكر منهم:

١ ـ القاضي صدر الدين سليمان الجعفري. خطيب داريا، (المتوفى سنة ٧٢٦)، وهو ممن أثنى عليه النووي نفسه.

٢ ـ شهاب الدين الأربدي.

٣ ـ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان.

٤ ـ علاء الدين علي بن أيوب المقدسي (المتوفى سنة ٧٤٨). ونسخ للنووي متن المنهاج، وحرَّره بضبط وإتقان تامَّيْن.

٥ ـ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة قاضي القضاة، (المتوفى سنة ٧٣٣)، له مؤلفات منها «المنهل الروي» اختصر فيه علوم الحديث وتصرف فيه.

وفي الحديث خاصة: سمع منه أكابر المحدثين، منهم:

١ ـ المحدث الحافظ أبو العباس أحمد بن فَرْح الإشبيلي. صاحب المنظومة الشهيرة في المصطلح «غرامي صحيح..»، (والمتوفى سنة ٦٩٩).

٢ ـ المحدث الحافظ ابن أبي الفتح وهو من شيوخه كما سبق.

٣ ـ المزي الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي صاحب كتاب تهذيب الكمال. قال الإمام السبكي في الطبقات الوسطى: «روى عنه شيخنا المزي، قرأت عليه عنه جميع «الأربعين» التي له وشرح مشكلها[1]...».

٤ ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الدمشقي،

---

(١) من التعليق على الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٩٧.

المعروف بابن العطار، وهو من أخص تلامذته، وكان يخدمه، وله فيه ترجمة مفردة، قال فيها: «وسمع منه خلق من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء، وتخرج به خلق كثير من الآفاق، وسار علمه وفتاويه في البلدان»[1]. توفي ابن العطار سنة ٧٢٤. وكان يقال له: «مختصر النووي».

شخصية الإمام النووي:

أوتي النووي الفضل في مظهره وشخصيته، كما أوتيه في علمه وعمله، قال عارفوه في وصفه:

«كان أسمر كثّ اللحية، ربعة، مَهيباً، قليل الضحك، عديم اللعب، بل هو جِدٌّ صِرف، يقول الحق وإن كان مراً، لا يخاف في الله لومة لائم».

وكان في ملبسه مثل آحاد الفقهاء من الحوارنة، لا يؤبه له، عليه سنجنابية صغيرة، وكانت لحيته سوداء، فيها شعرات بيض، وعليه هيبة وسكينة[2].

ووصفوا خُلُقه بما يدل على غاية فضله ونبله، فقد كان «ليّن القلب، سالكاً طريق السلف في الزهد في الدنيا، والمبالغة في الخشوع والورع، غزير الدمعة، كثير الصمت، حافظاً للسانه أشد الحفظ، غاضاً للطرف، طويل الفكر، حسن الأخلاق جداً، إذا آذاه أحد يقول له: يا مبارك الحال. مثابراً على الصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أشد المواطن وأصعبها، محاسباً لنفسه، حافظاً لأوقاته، قد جَزّأ كل وقت منها لنوع من العمل...»[3].

(١) ترجمة النووي ص ٣٠ وفيها تعداد طائفة من تلامذة النووي ص ٣٠ - ٣٢.
(٢) ترجمة النووي ص ٣٩.
(٣) المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧.

ذكر الإمام بدر الدين بن جماعة أنه سأل النووي عن نومه فقال: «إذا غلبني النوم استندتُ إلى الكتب لحظة وأنتَبِه». قال البدر: «وكنت إذا أتيتُه أزورُه يضع بعض الكتب على بعض، ليوسع لي مكاناً أجلسُ فيه»[1].

ومن أخلاقه أنه كان من سعة علمه عديم النظير، وكان لا يرى الجدال ولا تعجبه المبالغة في البحث، ويتأذّى ممن يجادل ويعرض عنه»[2].

وذلك أن النووي كان يحقق المسألة علمياً، وخوض الجدال بعد التحقيق يؤدي إلى آفات ومفاسد، فكان يبتعد عن الجدال، وكان ذلك دأب السلف رضي الله عنهم يدلي كل واحد بحجته، ويُذَكِّر صاحبه، ثم يعذر كل الآخر إذا لم يوافقه في اجتهاده.

وقال الإمام تاج الدين السبكي في النووي: «الشيخ الإمام العلامة محيى الدين أبو زكريا شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، كان يحيى ـ رحمه الله ـ سيِّداً وحَصوراً، ولَيْثاً على النفس هَصوراً، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا صيّر دينه رَبْعاً معموراً. له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة. هذا مع التفنن في أصناف العلوم، فقهاً ومتون أحاديث، وأسماء رجال، ولغة وتصوّفاً، وغير ذلك»[3].

وقال الإمام الذهبي: «شيخ الإسلام، شيخ الشافعية، القدوة الزاهد

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦.
(٢) المرجع نفسه نقلاً عن سير النبلاء.
(٣) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٩٥.

العلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، وله سيرة مفردة في علومه وتصانيفه، ودينه ويقينه، وورعه وزهده، وقناعته باليسير، وتعبده وتهجده، وخوفه من الله تعالى»[1].

وقال االشيخ شمس الدين بن الفخر الحنبلي: «كان إماماً بارعاً، حافظاً متقناً، أتقن علوماً جمة، وصنف التصانيف الجمة، وكان شديد الورع والزهد، تاركاً لجميع الرغائب من المأكول إلا ما يأتيه به أبوه من كعك وتين، وكان يلبس الثياب الرثة المرقعة، ولا يدخل الحمام، وترك الفواكه جميعها، ولم يتناول من الجهات درهماً. رحمه الله تعالى»[2].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية[3]: «محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه... وقد كان من الزهادة والعبادة، والورع والتحري، والانجماح عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره».

وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[4]: «الفقيه الشافعي، الحافظ الزاهد، صاحب المصنفات المشهورة، وفضله وعلمه وزهده أشهر من أن يُذكر».

وتلخص لنا خصائص النووي هذه العبارة التي رواها الإمام الذهبي قال: «وكان شيخنا ابن فَرْح يشرح على الشيخ الحديث، فقال نوبة: «الشيخ محيي الدين قد صار إلى ثلاث مراتب؛ كل مرتبة لو كانت

---

(١) كتاب دول الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٧٨ طبيع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٣.

(٣) ج ١٣ ص ٢٧٨.

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٧ ص ٢٧٨.

لشخص لَشُدَّت إليه الرحال: العلم، والزهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[1].

هذه العبارة تلخص لنا أهم خصائص الإمام النووي، التي تميز بها، نفصلها لك فيما يلي:

عبادته وخشوعه:

ظهر توجه الإمام النووي إلى العبادة والتقوى بل ولعه بهما منذ حداثة سنِّه، بملازمته قراءة القرآن، حتى وهو يلعب مكرهاً مع الصبيان، ثم في عمله، عندما ألحقه أبوه بالدكان، مما لفت إليْه نظر شيخه، وكلم معلمه الذي يعلمه القرآن في شأنه للاعتناء به، وقال له: «هذا الصبي أرجو أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به»[2]

وأجمع مترجموه على وصفه بغاية التعبد والخشوع رضي الله عنه، وتأمل هذا الموقف له في العبادة، يصفه العالم الفاضل أبو عبدالله محمد البعلي، يقول: «كنت ليلة في أواخر الليل بجامع دمشق، والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة، وهو يردِّدُ قولَه تعالى: «وَقِفُوهُمْ إنَّهم مَسْؤُولون» مراراً بخوف وخشوع، حتى حصل عندي من ذلك أمر عظيم»[3].

وقد ظل على هذا الحال، بل في الازدياد منه، بملازمة «العبادة، والأوراد، والصيام والذكر»[4]، عملاً منه بسنة النبي ﷺ، فقد ثبت أنه

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٣ وانظر ترجمة النووي ص ٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٩٦.

(٣) ترجمة النووي ص ٣٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧١.

«كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[1]. ولقوله تعالى: ﴿ الذين يَذْكُرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم ويَتَفَكَّرون في خلقِ السمواتِ والأرض. . . ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾[3].

فاقف أيها المسلم أثره واتبع سبيله، والزم يا طالب العلم ما ورد عن النبي ﷺ من قراءة القرآن، والأذكار، والأدعية، كما كان عليه النبي ﷺ، ودونك كتاب الأذكار للنووي يعرفك بذلك ويدلك عليه.

زهده:

ضرب الإمام النووي في الزهد مثلاً عالياً، في جميع أحواله، حتى كانت سيما الزهد عليه واضحة.

كان من صفاته كما ذكر العلماء «ملازمة الصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية لا مزيد عليها، ملبسه ثوب خام، وعمامته شبختانية صغيرة». «مقتصداً إلى الغاية في ملبسه ومطعمه وأثاثه، تعلوه سكينة وهيبة»[4].

وكان لا يأخذ من حقوقه في الأوقاف شيئاً، مكتفياً بالسكن في الرواحية، ويقتات بما يرسله له أبوه من نوى من كعك وتين. وظل على هذا الحال عندما نَبُه شأنه، وسار ذكره في الناس وأسندت إليه وظائف تدريس العلوم، وترأس مشيخة دار الحديث، فظل على هذا الحال، ولم

---

(١) أخرجه مسلم في أواخر التيمم ج ٢ ص ١٩٤، وأبو داود ج ١ ص ٥ والترمذي ج ٥ ص ٤٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) العبر في خبر مَن غَبر ج ٥ ص ٣١٢.